تقديم

«مشروع إحياء تراث الرواد»

فى إطار إدراكه الخاص لدوره، رأى قسم العلوم السياسية أن حسن اضطلاعه بواجباته ومسئولياته يقتضى بذل ما هو ضرورى وممكن للتعرف على ذاكرة القسم والحفاظ عليها من الضياع، من خلال إحياء ذكرى وأعمال وتراث الرواد من أساتذته الكبار. وفى هذا السياق عكف القسم على بلورة واحد من مشروعاته العلمية والبحثية التى أطلق عليها «مشروع إحياء ذكرى الرواد»، ورأى أن يبدأه بإحياء ذكرى وتراث أستاذنا المرحوم الدكتور حامد ربيع؛ وذلك لأسباب لا تخفى على أحد. فالدكتور حامد ربيع يتمتع بسمعة ومكانة علمية وبحثية مرموقة، وتنوعت اهتماماته الأكاديمية إلى درجة الإسهام بالكتابة باقتدار فى جميع مجالات حقل العلوم السياسية، ولم يقف جهده عند حد الاهتمام الأكاديمى بالمعنى الضيق، وإنما حرص أشد الحرص على الاهتمام بالقضايا الأساسية للأمة العربية والإسلامية، وفى مقدمتها قضايا «الصراع العربى الإسرائيلى»، و«النفط ودوره فى السياسة الدولية»، وغير ذلك من القضايا الحيوية التى لا تزال مطروحة على جدول أعمال النظامين: العربى، والعالمى.

وقد اشتمل الشق الخاص بإحياء ذكرى وتراث حامد ربيع على نشاطين متميزين:

الأول: احتفالى ـ دراسى، وتم فى سياقه تنظيم ندوة فكرية عن أعمال الراحل الكبير شارك فيها عدد من أعضاء هيئة التدريس بالقسم، وبخاصة الذين تتلمذوا على يديه وأصبحوا الآن أساتذة مرموقين بالقسم، كما شارك فيها عدد من كبار الأساتذة والمفكرين من خارج القسم من أمثال الأستاذ الدكتور حسن حنفى، أستاذ الفلسفة بكلية

الآداب جامعة القاهرة، والسيد المستشار طارق البشرى، وغيرهما. وقد تم نشر وقائع هذه الاحتفالية والأبحاث التى قدمت فيها فى كتاب حمل عنوان: «**تراث حامد ربيع بين كفاحية العالم ومقتضيات المنهج**»، حرره د. حسن نافعة ود. عمرو حمزاوى.

الثانى: توثيقى، لجمع وتصنيف وتبويب أعمال الراحل الكبير بطريقة تمكن من تحقيق الأهداف التالية:

أولاً: الحفاظ على تراثه من الضياع ومن السرقة.

ثانيًا: تحرير هذا التراث ضمن عملية ترتيب لمحتواه بطريقة تيسر التعامل معه بالقراءة والاستفادة.

ثالثًا: إخراج «سلسلة» من الكتب المرجعية تستهدف صنوفًا ثلاثة من الباحثين والدارسين:

١ـ الباحث ـ أو مشروع الباحث ـ الذى يلتحق بالدراسات العليا، والذى يتطلع لاستيعاب هذه الكتابات فى مضمونها، وفى طريقة تعاملها مع الظواهر، وأساليب تناولها للموضوعات المختلفة، فضلا عن مناهج النظر المشار إليها ضمنا أو صراحة، ويعد هذا الصنف من الباحثين والدارسين هو المستهدف الأول والمخاطب الأساسى فى هذا المقام.

٢ ـ الأساتذة الذين يتولون تدريس هذه الموضوعات، سواء فى مرحلة الدراسات العليا أو مرحلة البكالوريوس، حيث تقدم هذه السلسلة مراجع مهمة فى الحقول المختلفة يصعب الاستغناء عنها. وقد أشار الدكتور ربيع فى ثنايا كتاباته المختلفة إلى موضوعات معينة جديرة بالدراسات والمتابعة لتحقيق التراكم العلمى المنشود، والذى تعد هذه الكتابات فاتحة مهمة فيه ولبنة من لبناته الأساسية.

٣ ـ المثقف السياسى بالمعنى العام والعميق، حيث تعد هذه الكتابات واحدًا من أهم مداخل المثقف السياسى التى لا يستطيع «المثقف العام العميق» أن يستغنى عنها، والتى نعتقد أنها لا بد وأن تترك آثارها الإيجابية على تفكيره النظرى والتطبيقى على حد سواء.

ولوضع هذا الشق من المشروع موضع التطبيق، قام القسم بجمع كتابات الراحل الكبير، وتم توزيعها على عدد من الأساتذة المتخصصين ليقوم كل منهم بعدد من الإجراءات والخطوات الضرورية استنادًا إلى معايير علمية صارمة تم الاتفاق عليها، ومنها:

* تحديد المادة المتاحة، كلٌّ في مجال عمله وتحريره.

* فهرسة هذه المادة وجمع عناوينها.

* تقسيم الأجزاء التى يمكن أن يشتمل عليها المجال المخصص له.

* كتابة مقدمة تحليلية لكيفية وطريقة ترتيب وعرض العمل المحرر: خصوصًا فيما يتعلق بترتيب المواد والمصادر التى اعتمد عليها، والطريقة التى استخدمها فى تفكيك وترتيب وإعادة تركيب بعض الأجزاء التى توجب على المحرر القيام بها؛ كى يرشد القارئ عن أسلوبه وطريقته فى عرض نصوص حامد ربيع والمحافظة على كيانها.

* اختيار عنوان أو عناوين للنص (كلى) و(أجزاء).

* اعتماد ما يراه من تصنيفات للنصوص، والتى تشمل فى مفهوم الدكتور سيف عبد الفتاح مثلاً: «النص العمدة» و«النص الأساس» والتى يمكن أن يجمع حولها بقية النصوص، والتى يسميها «النص المغناطيسى».

* الربط والانتقال بين النصوص المختلفة ـ أو فقرات منها ـ بطريقة محددة عبر فقرات مميزة تكتب بخط مميز لتمييزها عن نص الدكتور حامد ربيع، فضلاً عن الإحالات، والتعليقات، حفاظا على السياقين اللغوى والتاريخى؛ وذلك عبر عملية تدخل منهجى واضحة ومحددة.

وتكمن أهمية تراث الدكتور حامد ربيع فى عمقه وامتداده وشموله لكل تصنيفات العلوم السياسية، بدءا من مدخل علم السياسة ودراسة السلوك السياسى، مرورًا بالنظرية السياسية والتحليل السياسى، ودراسة التراث السياسى الإسلامى، والرأى العام والإعلام والدعاية، والاتصال والحرب النفسية، وانتهاء بالدراسات المتعلقة

بالسياسة الخارجية والعلاقات الدولية، وبخاصة الدراسات المتعلقة بالصراع العربى الإسرائيلى والصهيونية والنفط والعالم العربى والسياسة الخارجية المصرية.

وتأسيسًا على ما سبق، تم الاتفاق على إسناد كتابات حامد ربيع فى مجال النظرية السياسية والتراث السياسى الإسلامى ومبادئ علم السياسة إلى الدكتور سيف الدين عبد الفتاح، والدراسات المتعلقة بالرأى العام والاتصال والدعاية والحرب النفسية إلى الدكتور حامد عبد الماجد، والدراسات المتعلقة بالأمن القومى العربى والدراسات النفطية والعالم العربى إلى الدكتور حسنين توفيق، والدراسات المتعلقة بنظرية السياسة الخارجية والتعامل الدولى وقضايا الإسلام والعلاقات الدولية إلى الدكتورة نادية مصطفى، والدراسات المتعلقة بمصر والعالم العربى والصراع العربى الإسرائيلى إلى الدكتور نصر عارف، والدراسات المتعلقة بالعقيدة الصهيونية والسلوك الإسرائيلى إلى إلى الدكتور محيى الدين قاسم.

وإذ آمل أن تساعد هذه السلسلة على تحقيق الأهداف المرجوة منها، لا يفوتنى أن أقدم خالص شكرى وتقديرى إلى كل الزملاء الذين تحمسوا لهذا المشروع وشاركوا فى إنجازه، وبخاصة هؤلاء الذين بادروا بالفكرة، واستحال إخراجها إلى النور بدون جهدهم الضخم، وعلى رأسهم تلميذ حامد ربيع البار الزميل سيف الدين عبد الفتاح.

د. حسن نافعة

مقدمة

هذه المقالات والرسائل السياسية هى من آخر ما كتبه عالم السياسة المخضرم أستاذ الأجيال ـ حامد ربيع رحمه الله تعالى ـ وهى تخاطب المثقف، ورجل الشارع العادى، وتقرع ضمائر قياداتنا الفكرية والسياسية، تحلل واقعنا المتردى فى مختلف جوانبه، ولكنها تثير الأمل فى الأجيال القادمة بأنها ما زالت تمتلك إرادة التحدى والفعل، رغم كل الإحباطات والصعوبات. . . .

تكشف هذه المقالات بكل صراحة وقسوة ظاهرة اختلال القوى القيادية فى الأمة باعتبارها ذروة المأساة التى نعيشها، فى منطقة أصبحت أرضها مستباحة، ومصائرها تقودها الإرادات الأجنبية المختلفة، ويوضح كيف تحولت فئات من أهل الفكر والعلم إلى أبواق وظيفتها التصفيق فى «الزفة السياسية» للحاكم والمستعمر، وباعت قضية أمتها ولم تعد تذكر سوى أنانيتها ومصالحها، إنها زفرة عالم أو دعها فى صورة رسائل وخطابات للأمة وقياداتها، رأينا للفائدة جمعها فى «كتاب».

وبالتالى لا تعد هذه السطور مجرد تقديم للكتاب بما له من أصالة وعمق منهجى وصراحة سياسية لكنها أيضًا محاولة للقراءة والتحقيق العلمى وفاءً بدين نحو التراث السياسى وأستاذنا ـ العلامة الجليل ـ الذى كتب هذه المقالات التى يجمعها وحدة الموضوع وريادته، وجدية التناول وأصالة منهجيته. . . . . وقد جاءت مسلسلة تحت عناوين **«سوف أظل عربيا»** وبلغت نحو عشرين مقالة، و **«مصر والحرب القادمة»** وبلغت عشر مقالات، تعتبر نوعًا من عيون الأدب السياسى الرصين.

ورغم التنوع الكبير لاهتمامات مؤلفنا العلمية، والطبيعة الموسوعية لكتاباته ودراساته، الأمر الذى يضع صعوبة حقيقية أمام أية محاولة لرصدها والتقديم لها، إلا

أن الموضوع الذى تدور حوله المقالات الواردة بين دفتى هذا الكتاب تقع موقع القلب فى اهتماماته، إذ أنها تدور حول مسئولية العالم والمفكر تجاه قضايا أمته المختلفة، ودوره فى النهوض بها، متصديا لمشاكلها وأزماتها، وهى مسألة ألح عليها فى أكثر من موضع ومؤلف من مؤلفاته.

تعبر هذه المقالات عن نوع من الفكر الحركى له مقاييسه ومعاييره فى التحليل والتقييم تختلف عن الفكر النظرى والتأصيلى، الأمر الذى ينبغى أن نأخذه فى الاعتبار عند قراءة هذا الكتاب، أو هو ـ بالأصح ـ نوع من العلم النافع الذى عرفته أمتنا فى فترات صعودها وإيناعها التاريخى.

فالمجموعة الأولى من المقالات صيغت غالبيتها فى صورة رسائل لابنه جاءت تحت عنوان **«سوف أظل عربيًا»**، وعلى امتداد عشرين مقالة ناقش اختلال القوة القيادية العربية باعتبارها ظاهرة متكررة، وأخذ يبين أن الأمة العربية والإسلامية هى أمة القيم الحقيقية، وحدد لها خصائص ثلاثة:

منطق الانفتاح الذاتى... والاستمرارية التاريخية... الحوار الحضارى...

وتناول نظام القيم الحضارية مبينًا حقيقة «الرجولة السلوكية فى تقاليدنا التاريخية». واضعًا لها النسيج المتكامل من أربعة عشر أساسًا للأخلاقيات ـ التى افتقدتها الأمة ـ ثم أخذ يُقَعِّد للسلوكيات فى تقاليد المسلم الحقيقى، ثم يوضح معالم العروبة السياسية ومنها تضامن الأمة وتماسك جميع أجزائها، والجهاد والسيادة المطلقة للقيم الإسلامية.

* ثم حدد معالم الدولة القائد، التى يجب عليها أن تقود العالم العربى والإسلامى، ولا مجال لتفصيله هنا.

* ثم واصل استذكاره لأحداث حرب الاستنزاف المصرية وركز مؤلفنا ـ رحمه الله ـ علي قضية فلسطين، «المشكلة الفلسطينية هى أحد عناصر المشكلة العربية، والتمزق الفلسطينى هو تعبير عن فشل العروبة السياسية».

أما المجموعة الثانية والتى جاءت تحت عنوان **«مصر والحرب القادمة»** فى عشر مقالات فمحورها الأساسى أن إسرائيل التى ترفع شعار السلام تستعد لحرب قادمة،

وقد حددت الأسلحة التى ستقوم باستخدامها : النووية ـ التكتيكية ـ الجرثومية ـ الكيماوية والصاروخية ، بل وحددت الأماكن التى ستقوم بضربها ، بل وأنهت تدريباتها العسكرية ، بمساندة القوى الاستعمارية .

وأن هذه الحرب القادمة ، سوف تذكرنا بالانفجار النازى فى أوروبا ، وأن هذه الحرب لن تترك دولة واحدة من دول الشرق الأوسط دون أن تتعامل معها . وأن هناك خطة قد تم تنفيذها للإعداد «لميدان المعركة» وأن القيادة الصهيونية التى سوف تتحكم فى هذا التصور ليست القيادة السياسية الحزبية ، ولكنها القيادة العسكرية المهنية ، ويتساءل الكاتب ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله :

«هل تستطيع مصر أن تقف إزاء ذلك التطور موقف السلبية؟ أم ماذا تستطيع أن تفعل؟» وهذه التساؤلات وغيرها يحاول الكاتب أن يجيب عليها فى هذه المقالات .

لقد أعلن مؤلفنا ـ فى أكثر من موضع فى مقالاته ودراساته ـ أنه آن الأوان ـ بعد أن ظل فترات طويلة من المعاناة معتكفا فى صومعة العلم ـ أن يخرج للأمة حاملاً راية الجهاد ضد الجهالات العلمية ، والتخلف الفكرى ، وكما يقول فى إحدى هذه المقالات «هناك لحظات فى تاريخ المجتمعات يتعين فيها على المفكر والفيلسوف أن يخاطب رجل الشارع ، يثير فيه عناصره النفسية الدفينة ، ويدفع ـ من خلال قرع الضمير الجماعى ـ ذلك الرجل العادى ليحيله إلى قوة خلاقة ، تنطلق فى عملية إيمان بالذات لتصير فيضانا يتحكم فى مصائر الحركة ، وينطلق من وعى حقيقى بتدهور أحوال الأمة وأوضاعها ، نحن نسير من سيئ إلى أسوأ ، وكل يوم يمر هو خير من الحاضر ، وكل يوم يأتى هو أكثر تدنيا من هذا الحاضر . . إن الأرض العربية أضحت مسرحا واسعا للعرائس واللامعقول ، فكيف يستطيع المحلل الناقد أن يهرب من هذا الواقع ؟!» .

ويحيل هذا الوعى بواقعنا إلى عناصره التحليلية الأساسية ، فيرصد مؤلفنا ثلاث قوى أساسية تنخر فى جسد الأمة ، وتتسلل فى منطقتنا لتكون نوعا من السرطان الذى هو وحده قادر على شل الإرادة :

أولها : القيادات الحاكمة .

ثانيها : الثروة التى وضعت فى أيد غير صالحة ، وغير أمينة على استغلالها .

ثالثها : أهل الفكر الذين خانوا قضية أمتهم، وأضحوا أبواقا وظيفتها القيام بعملية الزفة السياسية للحاكم أو للمستعمر.

وبكفاحية العلماء الذين يقومون بأدوارهم فى الحياة إزاء قضايا أمتهم الوجودية ومصائرها الحضارية ، ولا يضنون عليها بما يمتلكون من علم ومنهج راح يكشف واقع الطبقة المثقفة التى خانت قضية أمتها، والقيادات السياسية التى حكمت المنطقة منذ أربعينيات القرن العشرين ـ وحتى الآن ـ ويصفها بأنها من أسوأ أنواع القيادات التى عرفتها أمتنا فى تاريخها الطويل، يقول بصراحته المعهودة:

«طبقات حاكمة قد نسيت إلا أنانيتها، وديدان استطاعت أن تتسلق لتصل إلى أقصى القمة، ولكنها لم تعد تذكر طبيعتها منذ أن تربعت فى كراسى السلطة، وظنت أنها قد اكتسبت خصائص القيادة، وقدرات فكرية انقلبت إلى مجموعة من الصفاقة».

ولكنه يدرك ـ بخلفيته وتكوينه ـ أن ذلك الوضع هو تصديق للمأثور: «كما تكونون يولى عليكم»؛ ولذلك نراه يقول بصراحته المعهودة: «إن الطبقات الحاكمة ليست إلا تعبيرا عن فساد الجسد ورخاوة الإرادة، وتعفن الضمير، وكل شعب لا يحكمه إلا من يستحقه، ويعكس جميع خصائصه من قوة وضعف».

يُعلن فى هذه المقالات بوضوح ـ سوف أظل عربيا ـ موجهًا ثلاث رسائل تنطلق من مضمون واحد يترجم حقيقة فكرية ومنهجية متراصة مترابطة:

١ ـ رسالة إلى الأمة التى ينتمى إليها ـ فى شخص ابنه الذى يرى مستقبله فى مستقبل أمته ـ يذكرها بماضيها الناصع الخالد، ويرصد حاضرها الناطق بالعجز الشامل عن إرادة الفعل، ومستقبلها المهدد بخطر الاختفاء الحضارى من على خارطة الوجود الإنسانى.

وهو فى مخاطبته وحديثه للأمة لا يُحمِّل جيلا واحدا منها مسئولية ما وصلت إليه من تمزق وخنوع: «لا تتصور يا بنى أنها محنة جيل واحد، لقد حمل ذلك الجيل الذى تنظر إليه مستنكرا المآسى المترسبة خلال عشرة قرون على الأقل.. إن هذا الجيل هو حلقة فى سلسلة طويلة من الأجيال التى تنكرت لتعاليم آبائها فى هذه المنطقة، أجيال تركت الآخرين يشكلون منطقها وعقلها على المستوى الفردى

والجماعى، فأضحت لقمة سائغة فى يد قوى معادية لا يمكن إلا أن تقف من رسالتنا التاريخية موقف الرفض والعداوة».

إن هذه الصفحات الخالدة التى كتبها مؤلفنا هى مجموعة من «الرسائل» تقرع ضمير الأمة، هادفة إلى الكشف عن مكنونات الجسد وقدراته.. وتشحذ العزائم والهمم ـ لخلق الوعى بخطورة التردى ـ على مستقبل الأمة إلا إذا أخذت زمامها بأيدى أبنائها. إن النهضة التى طالما سمعنا عنها، والتى تحدث عنها أكثر من مفكر واحد يذكر فضلها، لا تزال فى الأفق لم تحدث بعد، «أنت ـ يا بنى ـ الذى سوف تخلق هذه النهضة، وليس أمامك إلا أن تعود إلى آبائك الأوائل تسألهم، وتسترشد منهم عن حقيقة وظيفة الأمة التى تنتمى إليها، والتى اختارتها القوة العليا لأن تقود الدعوة للعودة إلى حظيرة القيم المثالية. لا تنظر إلى ما حولك.. إن الفارس الحقيقى لا يلقى ببصره إلى ما هو أسفل أقدامه.. وإنما يتجه ببصره إلى الإمام.. إلى المستقبل».

٢ ـ رسالة إلى الفئات والطبقات المثقفة فى الأمة ـ ورغم أنه يعى تماما الأدوار التى يقوم بها معظم أهل الفكر فى هذه الأيام ـ معلنا أن «حصوننا مهددة من الداخل»، ولكنه يدرك بوعى أن هذا واقع ينبغى أن يتم التعامل معه. «هناك مجموعة أخرى من الأسباب تقودنى إلى أن أتحدث مع أولئك الذين شاءت الأحداث إلا أن تجعل لهم وزنا فى عالمنا المعاصر، أولئك الذين يخرجون علينا من آن لآخر يشنفون آذاننا بأسطورة الحضارة الغربية تارة، وتارة أخرى بحديث السلام. كذلك تلك المجموعة من الأذناب التى تتكون من حصيلتها ما نسميه بظاهرة «الزفة السياسية»، فى حاجة إلى نوع من المنطق واللغة التى لا بد وأن تفرض عليهم أن يتساءلوا بينهم وبين أنفسهم عن حقيقة تلك الموجات الكاذبة التى تحيط بنا، والتى ليست إلا تعبيرا عن ظاهرة المرض التى هى بدورها تملك وظيفتها؛ لأنها ضرورة تفرضها طبيعة الوجود الإنسانى، حتى نستطيع أن نكتشف مدى صلابة إيماننا ورسوخ عقيدتنا، ولماذا نذهب بعيدا؟ ألم يقل رسولنا الكريم ﷺ: «خاطبوا الناس على قدر عقولهم»؟

وفى نفس الوقت يدرك مؤلفنا وظيفة الطبقة المثقفة والقيادات الفكرية ـ فى تقاليدنا الحضارية العربية الإسلامية ـ حين يقول بوضوح: «إن تاريخنا هو قصة الأئمة الأربعة

الذين لم يتردد أى منهم فى أن يقف من السلطان الحاكم موقف المراقبة والمحاسبة، ولو على حساب حياته وحريته. إن هذا التاريخ هو أيضا قصة أحمد بن حنبل الذى تحدى ثلاثة خلفاء، ولم يتردد فى أن يقف وحيدا مهابا يرفض نظرية فكرية كاملة، وليجعل الرأى العام - فى عالم لم يكن يعرف بعد ما تعنيه هذه الكلمة - يثور على الخليفة العباسى، ويجعله يتراجع وينحنى إجلالا وتقديسًا».

وهو ينطلق فى ممارسته الفكرية للقيام بوظيفته الكفاحية من هذا المنطلق، فها هو يخاطب القيادة السياسية المصرية: «هل قرأت سيدى قصة الفلاح الفصيح؟ لقد كان فرعون هو الحاكم بأمره، بل هو الإله الذى تقمص شخص أحد أبنائه. ولكنه إزاء شعبه هو المصلح والراعى لمصالح أمة.. وذلك منذ ستة آلاف عام. فهل عدنا إلى الوراء؟ ثم جاء الإسلام ليضيف تقاليد أخرى أكثر تقدما وأكثر حنكة. وأحد هذه التقاليد أن من واجب الفقيه أن يقول للحاكم كلمة ينصحه ويرشده، فإن لم يقبل النصح ينذره ويتوعده، فإن تمادى فى غيه يرفع عليه سيف العصيان، ويلجأ إلى جميع الوسائل المشروعة لإعادته إلى الطريق السوى، أنت الحاكم، ولكننى الفقيه، أنت صاحب الحق فى الأمر، ولكننى أنا وحدى الذى يعبر عن الضمير الجماعى فى أنقى صوره...».

ولكن هل تعى الطبقة المفكرة والمثقفة فى أمتنا هذه الرسائل؟ أم أنها سوف تظل سادرة فى غيها، مستمرئة خيانة قضايا أمته، وممارسة كل أشكال الزفة السياسية خدمة لأى حاكم؟!.

٣ - رسالة إلى الطبقات والقيادات الحاكمة فى العالم العربى.. وقبل الدخول فى هذه الرسائل التى يمكن تسميتها كتابات «الحكمة السياسية»، يتناول بالتحليل خصائص الكثير من الطبقات القيادية التى تسيطر على مصير الأمة العربية والإسلامية ويلخصها فى التالى:

(أ) تخلف المنطق القيادى، وعدم المقدرة على استيعاب حقيقة التطورات، والانفصال عن الطبقات المحكومة فى أبراج عاجية تسودها الأنانية والتجمد، وعدم وضوح الرؤية.

(ب) عدم القدرة على إعطاء كل موقف وزنه الحقيقى أو التعامل معه من منطق الفاعلية، والقدرة الواعية.

(جـ) تعود هذه القيادات على الكذب وممارسته بعناد وصلابة، حتى انتهت بأن تصدق هى ذاتها تلك الأكاذيب، يساعدها على ذلك خوف من تحول السلطة عنها، واستعداد المواطن للتملق، الذى تحول إلى سلوك ثابت، وصار شرطا أساسيا للحصول على الحقوق، البعض من الحكام يعتقد أن الكذب هو تعبير عن الدهاء والقدرة على التلاعب بالموقف، وهم يتصورون أن هذه هى المكيافيلية المثالية!!.

(د) القيادات العربية لا تفهم، ولا تعرف، ولا تقبل فن المناقشة، وهى لا ترى فى هذه المناقشة وسيلة للوصول إلى الحقيقة، وإنما تراها أسلوبا من أساليب عدم الاحترام ـ هذا ليس إلا النتيجة الطبيعية لعدم الثقة فى الذات- فإذا فرض على هذه القيادات المناقشة المنطقية ـ فى موقف ما ـ فإنها تنتقل ببساطة وسهولة إلى الإسفاف والبذاءة.

ـ ويوجه مؤلفنا رسائل لمجموعة من القيادات العربية الحاكمة، يضعهم أمام مسئولياتهم التاريخية، ويوضح لهم الأخطار المحدقة بمصير أمتهم.

فمثلاً يخاطب الرئيس مبارك مذكرا إياه بتلك اللحظات التاريخية التى تولى فيها حكم مصر «نعم يا سيدى الرئيس حسنى مبارك، هذه هى لغة التاريخ، وعليك أن تفهمها وأن تعيها جيدًا. هل تدرك معنى الأحداث التى مررت بها؟! ألا تتذكر تلك اللحظات الخالدة والمخيفة عندما كنت تجلس إلى جوار الرئيس الراحل أنور السادات، وكان الشعب قد اتخذ قراره التاريخى، وقد انهالت عليكم طلقات الرصاص من كل جانب، تعلن أن الأمة قد قالت كلمتها، وأن التاريخ قد أصدر حكمه، وقد آن لتلك الفئة التى لم تعرف كيف تصون الأمانة أن تختفى من الساحة».

ويفرق مؤلفنا بين القيادات المصرية الحقيقية والزائفة فيقول: «إن قيادات مصر الحقيقية ليست تلك الوجوه القبيحة التى أحاط بعضها بالرئيس السادات فى لحظات معينة، والتى لا يزال البعض يحيط بخليفته... إلخ.

ويذكر مؤلفنا بوضوح ومنهجية سياسية : «إن الاستسلام له منطقه، وهو استجداء الحقوق، وله إستراتيچيته وأساسها الحصول على الثمن مقدما من جانب، وشىء خير من لا شىء، من جانب آخر، وهذه الممارسة ـ ممارسة الاستسلام ـ تحتاج إلى حنكة معينة، لقد مارسها السادات، ولكن الطامة الكبرى أنه وثق بنفسه أكثر من اللازم إلى درجة الغرور، وانطلق من أسلوب البذاءة اللفظية، ومنهاجية الاستعانة بعناصر هو أول من احتقرها فى جميع مراحل تاريخه السياسى . . . ومن ثم كانت النتائج المعروفة والمشاهدة».

وفى رسالة ثالثة يوجه مؤلفنا حديثا مستفيضا للملك المغربى، محللا الأوضاع المفسرة للسياسة المغربية، ثم ينتقل ليسأله :

«ترى أليس من حقى، ومن حق أى مفكر يئن باسم الضمير العربى أن يتساءل؟ ما هو حقيقة الدور الذى تلعبه على مسرح السياسة العربية سيدى الملك؟؟ وما هى القوى الخفية التى تحدد هذا الدور وتحركك تبعا لكل موقف؟!».

وفى رسالة رابعة يوجه مؤلفنا حديثه للعقيد معمر القذافى، فهو أولا رجل حركة، وعليه أن يبتعد عن الفلسفة ومشاكلها، ولا يجوز أن تخدعه تلك المجموعة من الصفَّاقة والمتسلقين، الذين أحاط بهم نفسه ليزينوا له قدراته الفكرية والتنظيرية . . ولعل هذا يدخل فى دائرة تلك المسرحيات التى تدعو إلى الضحك أكثر منها إلى البكاء، والتى ارتبطت بالثورة الليبية منذ مراحلها الأولى .

تلك نماذج من الرسائل التى يوجهها مؤلفنا للقيادات العربية الحاكمة ـ وتفاصيلها موجودة بين دفتى هذا الكتاب ـ تعطى لنا نموذجا لطبيعة العلاقة بين المفكر والحركى، وتوضح لنا دور النظرية فى فهم الحركة، وترشيد الممارسة السياسية، قد يختلف القارئ ـ مع قليل أو كثير ـ مما ورد فى هذه المقالات ـ وهذا حقه الطبيعى ـ بل إننى كأحد تلاميذ العلامة الراحل أختلف مع بعض ما ورد فيها مما لا مجال لتفصيله، ولكن المحور الثابت الذى تدور حوله المقالات أن لهذه الأمة طريقها الطويل فى مضمار التقدم الحضارى، وريادتها فى طريق التطور السياسى، الأمر الذى يختلف عن ذلك التطور الذى تختطه أوروبا لنفسها وتسير فيه منذ عصر النهضة وحتى الآن . . . فهو يتساءل

بحق «هل تطورنا أساسه طرد الدين من حياتنا اليومية؟ وهل دلالة وجودنا هو سيادة المادة على أى قيمة روحية؟ الإجابة واضحة، وهى أن تطورنا يملك منطقا آخر متميزاً ينبع من حضارتنا العربية ومرجعيتنا الحضارية!!

- ومع صفحات هذه الدراسة القيمة لم يعد لنا إلا أن نذكر مع مؤلفنا:

هل آن لنا أن نتعلم فن السياسة؟؟

نعم...!، أمة السياسة لم تعد تعرف معنى السياسة!!

حامد عبد الماجد

جامعة لندن - أبريل ٢٠٠٧

* * *